

الإمام والامامة في القرآن الكريم

الامامة مصدر من الفعل (أَمَّ) تقول: (أَمَّهم وأَمَّ بهم: تقدمهم، هي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس أو غيره

ويقول ابن منظور: (الإمام: كل من أتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا (ضالين.. والجمع: أئمة، وإمام كل شيء قيِّمه والمصلح له).

وقال صاحب (تاج العروس): (والإمام: الطريق الواسع، وبه فُسِّر قوله تعالى: وَإِنَّهُمَا (لِإِمَامٍ مُّبِينٍ [سورة الحجر: ٧٩] أي: بطريق يُؤم، أي: يقصد فيتميز

الى غير ذلك من المعاني المتقاربة

اما الامامة اصطلاحا: فهي وان اختلفت في الالفاظ الا انها متقاربة جدا من حيث المعنى وسنذكر بعض التعريفات للإمامة بحسب اراء العلماء

عرفها المارودي بقوله: (الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به)

وعرفها النسفي في عقائده(نيابة عن الرسول عليه السلام في إقامة الدين بحيث يجب على كافة الأمم الاتباع)

ويقول صاحب (المواقف)(هي خلافة الرسول - صلى الله عليه واله وسلم - في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة)

أما ابن خلدون فيقول (فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا)

وفي شرح الباب الحادي عشر للمحقق الحلي في فصل الإمامة قال: رئاسة عامة في امور الدين و الدنيا لشخص من الأشخاص نيابة (خلافة) عن النبي ﷺ

ذكرت الامامة في العديد من الآيات منها:

قال تعالى : وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ

وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ { سورة البقرة: ١٢٤

(يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)

وتبين الآية الكريمة ما يلي:

اولا: إن إبراهيم عليه السلام كان نبياً قبل ولادة أبنائه(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ)و حكا سبحانه عن زوجة إبراهيم: (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ).

ثانيا: إن ابراهيم صار اماما بعد ان صارت لديه ذرية ودليل ذلك أنه طلب الإمامة لذريته.

وهنا يثبت ان الإمامة عهد من الله سبحانه و منصب إلهي لمن يشاء من عباده وليست من تنصيب البشر ولا من الشورى.

والامامة لا ينالها الظالمين وهي محصورة في ذرية { قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ. }

{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤)} -السجدة-

وتبين الآية الكريمة ما يلي:

اولا: الامامة منصب إلهي وذلك أنها جعل من الله سبحانه فليس لأحد من البشر دخالة في تعيين الإمام فلا هي شورى ولا هي تعيين بشري.

ثانيا: أن وظيفة الإمام هي الهداية بأمر الله سبحانه.

ثالثاً: أن من صفات الإمام التي أهلتها لهذا المنصب الإلهي هو الصبر واليقين.

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

وتبين الآية ما يلي:

أولاً: أنّ هذا الخليفة أرضي، وهو موجود في كلّ زمان، والدال على ذلك قوله: (جَاعِلٌ) لأنّ الجملة الاسميّة، وكون الخبر على صيغة (فاعل) التي هي بمنزلة الفعل المضارع، تفيد الدوام والاستمرار.

ثانياً: إنّ هذا الخليفة ليس هو مطلق الإنسان فيكون من قبيل قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) وإنما المقصود به إنسان بخصوصه، وذلك بقرينة الآيات اللاحقة التي أثبتت أنّ هذا الموجود الأرضي إنّما استحقّ الخلافة الإلهية لآلِهِ (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)، ثم صار واسطة بينه تعالى وبين ملائكته (يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) ومن الواضح أنّه لا يمكن أن يراد به كلّ إنسان حتّى أولئك الذين عبّر عنهم القرآن الكريم (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ).

ولقد ورد مصطلح الإمامة في اثني عشر مورداً، تأمل قوله تعالى:

(وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَاننقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين (٧٩))

"الحجر."

(إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ

(١٢)) "يس."

(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي

قَالَ لَا يَبَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤))"البقرة."

(أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً

أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧))"هود."

(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمَنْتَقِينَ إِمَامًا

(٧٤))"الفرقان."

(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ

ظَلَمُوا وَبُشِّرِي لِلْمُحْسِنِينَ (١٢))"الاحقاف."

(يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا

يُظَلَّمُونَ فِتْنِيًّا (٧١))"الاسراء."

(وَإِنْ نَكُنُوا أَيَّمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ

لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٢))"التوبة."

(وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ

وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣))"الانبياء."

(وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١))"القصص."

(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤))"السجدة."

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

(٥))"القصص."

بعد استعراض الآيات الكريمة لعل من المفيد تصنيفها حسب استعمالاتها ومدلولاتها،

ويمكن هنا ان نسجل الملاحظات التالية:

أولاً: ورد المصطلح بصيغة المفرد "امام" في سبع آيات، وفيها:

أ. ورد مرتين بتكرار الصيغة نفسها وبالمعنى ذاته، في:

(فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩)) "الحجر".

(وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)) "يس".

والامام هنا بمعنى السجل الذي يحيط باعمال الانسان ويحتويها.

ب . ووردت كلمة "امام" في صفة كتاب موسى عليه السلام، ومكررة بالصيغة نفسها،

(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً (١٧)) "هود".

(وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً (١٢)) "الاحقاف".

والامام هنا بمعنى الكتاب المنسوب الى شخص، والذي يحتل موقع الارشاد والهداية.

ج . ووردت بصيغة إمامٍ للناس مكررة مرتين ايضاً، في:

(يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ (٧١)) "الاسراء".

(قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا (١٢٤)) "البقرة".

وكلمة الناس عادة في القرآن الكريم تعني عامة المجتمع، وقد تعني في موارد

مخصوصة المجموعة المقابلة للمجتمع المؤمن.

د . وجاءت مرة واحدة مقرونة بالمتقين: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)) "الفرقان".

وفي كل هذه الموارد جاءت كلمة (الامام) بمعنى الجهة التي يقتدى بها وتُتبع، ولها

موضع الارشاد والتوجيه وما يتطلبه هذا الموقع من متطلبات.

ثانياً/ اما بصيغة الجمع فقد وردت الكلمة (الائمة) في خمس آيات، وتحت عنوانين

هما: ائمة هدى، وائمة كفر، فقد وردت:

أ. ائمة الكفر و(ائمة يدعون الى النار)، فالائمة هنا هم المعروفون بالكفر والداعون

اليه، وهم رؤوس المواجهة ازاء الايمان، واعدائه، ولهم موقع القرار والقيادة، في آيتين

كريمتين:

ب . (ائمة يهدون بأمرنا) في آيتين اخريين ايضاً، وهم بحسب الآيتين يتمتعون

بخصوصيات ومقامات، فهم يهدون بأمر الله، ويوحى اليهم فعل الخيرات، وهم من

العباد والمقيمين الصلاة، وفي الدرجة العليا من المعرفة، وهم من الموقنين وهم من

الصابرين.

ج . (الائمة الذين يرثون الارض بعد أن كانوا مستضعفين فيها) مرة واحدة، اما وراثة

الارض فقد وردت في آيات متعددة وبصيغ مختلفة، هذه واحدة منها.